قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

الفكر العسكري عند الحسن العباسي

Al Hassan Al Abbassi's Military Thought

بسناس توفيق [1] *
[1] كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر3، الجزائر.

Key words:
The Army,
Combat preparation,
Logistic strategy,
Operational strategy,
war's ethics.

Abstract

This study aims to highlight the war theorizing of Al-Hassan Ibn Abdullah Al-Abbassi through his book "The Effects of the First in the Management of States", by formulating a new reading of his contributions from the perspective of the field of strategic studies. It also aims to try at reviving the contribution of Arab and Islamic military thought with is lacking in the strategic thought compared with the contribution of western military thought, and this calls for the recommendation to realize hundreds of Arab and Islamic military manuscripts in the archives of world museums and libraries, in front of Arab neglect and modest studies which few of them were made by some Orientalists. The neglect of the contributions of the Arab and Islamic military thought is prejudice in a field in which arabs have progressed distinctively, and made bids that raise eyebrows and astonishment. Al-Hassan Al-Abbasi is considered as one of the intellectuals Arabs who laid the foundations of thought strategic and principles, as it is in the Early in the history of this thought, warned of the danger of sectarian differences over the state's defensive immunity, and discussed the war's ethics before the Hague and the Geneva treaties devoted to the principles of international humanitarian law, and realized the rules of combat preparation, the conditions of military leadership, the logistical strategy, and the strategy of examining the geography of the battle site preceding Clausewitz and Jomini by five centuries ago.

معلومات المقال
تاريخ المقال:
الإرسال :2020-10-26
المراجعة : 2020-12-01
القبول : 2020-12-16

الكلمات المفتاحية:
الجيش،
التحضير القتالي،
الإستراتيجية اللوجستية،
الإستراتيجية العملياتية،
آداب الحرب.

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز التنظير الحربي عند الحسن بن عبد الله العباسي من خلال كتابه "آثار الأول في تدبير الدول"، بصياغة قراءة جديدة لإسهاماته من منظور حقل الدراسات الإستراتيجية، كما ترمي إلى محاولة إحياء إسهامات الفكر العسكري العربي الإسلامي المُغَيَبة في الفكر الاستراتيجي مقارنة بإسهامات الفكر العسكري الغربي، وهذا ما يستدعي التوصية بتحقيق مئات المخطوطات العسكرية العربية الإسلامية المتواجدة في أرشيف المتاحف والمكتبات العالمية، أمام التجاهل العربي والدراسات المتواضعة للقليل منها من طرف بعض المستشرقين. إن إغفال إسهامات الفكر العسكري العربي الإسلامي هو إجحاف في مجال تقدم فيه العرب بشكل متميز، وقدموا عطاءات تثير الدهشة والانبهار، والسبب في ذلك اقتصار دراستها على دلالات الحروب الدينية والتاريخية وإهمال الجانب الاستراتيجي، ويعتبر الحسن العباسي من المفكرين العرب الذين وضعوا أسس الفكر الاستراتيجي ومبادئه، إذ أنه في وقت مبكر من تاريخ هذا الفكر حذر من خطر الاختلاف الطائفي على أمن واستقرار الدولة، وناقش آداب الحرب وأخلاقياتها قبل معاهدات لاهاي وجنيف المكرسة لمبادئ القانون الدولي الإنساني، وأدرك قواعد التحضير القتالي، وشروط القيادة العسكرية، والإستراتيجية اللوجستية، وإستراتيجية فحص جغرافية موقع المعركة فكان سابقا على كلاوزفيتز وجوميني بخمسة قرون.

* Corresponding author at : Faculty of Political Sciences and International Relations, University of Algiers 3, Algeria.
Email : t.besnas@gmail.com

مقدمة

إن السيطرة العسكرية السريعة للعرب أول الإسلام على ما جاورهم من الشام والعراق وفارس ومصر ثم السند والحبشة وافريقية والمغرب والأندلس، وكافة نطاق البحر المتوسط، تكفي لمنح فائدة حية لدراسة الوسائل والأساليب التي استعملوها للحصول على هذه النتائج الباهرة، ومن ثمة فإن دراسة فن الحرب عند العرب ضرورية في فهم تاريخهم وفهم تطور الإستراتيجية العسكرية عبر التاريخ، لقد استطاعوا أن يؤسسوا إمبراطورية عظمى في أقل من خمسين سنة، صمدت عسكريا أكثر من 250 سنة، ولم يتمكن من تحقيق هذا الإنجاز على مرور التاريخ، إلا الإسكندر ألذي أسس إمبراطورية واسعة في زمن يسير لكنها دامت لمدة أقل بكثير. (Chaliand, 1990, p39)

يغفل الفكر الاستراتيجي تسجيل إسهامات الفكر العسكري العربي الإسلامي، رغم غزارة المصادر التي تناولت هذا الفكر، منها التي تدرج فصلا أو بابا للحرب، ومنها المتخصصة في الفكر العسكري وتتناول مجالات عسكرية متنوعة كإستراتيجية الحرب وتدبيرها، والأسلحة وأنواعها الخفيفة والثقيلة، الدفاعية والهجومية وأساليب استعمالها والتدرب عليها، والحرب البحرية، والفروسية وأنواع الخيل، وقد أفرد كتاب الفهرست لابن النديم فصلا مستقلا لهذه المخطوطات عنوانه: »الكتب المؤلفة في الفروسية وحمل السلاح وآلات الحروب والتدبير والعمل بذلك لجميع الأمم« (**ابن النديم، د.ت، ص** 436-437).

مما لاشك فيه أن حرص السلطات السياسية لدول العصر الوسيط وخوفها من وقوع كتب الفكر العسكري عند الأعداء، دفعها إلى التحفظ عليها بعدم عرضها للعامة (Reinaud, 1848, p07)، مما حال دون الانتشار الواسع لهذا الفكر، والدليل على ذلك أن أغلبية المخطوطات المتخصصة في هذا الفكر كان مصيرها الفقدان أو لا تتوفر منها إلا نسخة واحدة.

إن إغفال دراسة هذه المخطوطات من الأسباب التي دفعت بعض المفكرين الغربيين إلى عدم الاعتراف بوجود فكر عسكري عربي، إذ يذكر هيري في كوتو-بيغاري قيام جون بول شارني بفك رموز مبادئ إستراتيجية عربية انطلاقا من أشغال إعادة بناء شظايا متفرقة لتراث المؤرخين العرب التي نادرا ما يوجد بينها ما يستحق الدراسة على حد تعبيره، ولكنه يعترف بعدم انتهاء عملية إحصاء المخطوطات العربية المكدسة في الأرشيف، منها مختصر سياسة الحروب للهرثمي الذي مازال ينتظر الترجمة، وهو ملخص لكتاب كبير حول الحيل والخدع والتدابير الحربية يُرَجَحُ أنه فُقِد عند غزو المغول لبغداد (Couteau-Bégarie, 2003, p 169).

تتناول هذه الدراسة قواعد الفكر العسكري ومبادئه عند الحسن بن عبد الله العباسي من خلال كتابه» آثار الأول في تدبير الدول « الذي تتوفر منه مخطوطة واحدة، وتنعدم أي معلومات في كتب التراجم والسير حول مُؤَلِفُه، وقد ذكرت المخطوطة الاسم الكامل للمُؤلِف، ونسبه الذي يرجع إلى نسل هارون الرشيد، وتاريخ تأليف الكتاب الذي كان سنة 1309م في عهد السلطان المملوكي لمصر الملك المظفر ركن الدنيا والدين بيبرس المنصوري، ويندرج كتاب آثار الأول ضمن كتب الفكر السياسي الإسلامي، ويحتوي على أربعة أقسام في أكثر من أربعمائة صفحة، يتكون كل منها من مجموعة من الأبواب والفصول، ويخصص القسم الرابع للحروب ويتكون من عشرة أبواب.

تهدف هذه الدراسة إلى تغطية بعض الفراغات العلمية التي لم تتم معالجتها والبحث فيها من خلال إبراز التنظير الحربي عند الحسن بن عبد الله العباسي المغفل في تاريخ الفكر الإستراتيجي، وتكمن أهميتها في إحياء إسهامات الفكر العسكري العربي المُغَيَب في الفكر الاستراتيجي إذا ما قورن بإسهامات تراث الفكر العسكري الغربي، مما انعكس في مقررات الجامعات والمعاهد العربية المتخصصة في الدراسات الإستراتيجية.

لقد أغفلت المراجع الغربية التي حللت التطور التاريخي لأساليب القتال عند الشعوب، التاريخ العسكري العربي، إذ يُؤاَخَذ المفكر العسكري ليدل هارت، على تجاهله للتاريخ العسكري للعرب في كتابه: "الإستراتيجية وتاريخها في العالم"، الذي حلل فيه وفق منظور استراتيجي التاريخ العسكري من القرن الخامس قبل الميلاد إلى الحرب العالمية الثانية. كما تجاهلت الدراسات التي تناولت تاريخ الفكر الإستراتيجي إسهامات العرب في هذا المجال، ويعتبر كتاب جيرارد شالياند المعنون: مقتطفات عالمية في الإستراتيجية من نشأة البشرية إلى النووي، من الكتب القليلة التي أشارت إلى دور العرب في تطور الفكر الإستراتيجي، لكنه أغفل أهم المنظرين العسكريين واهتم بإسهامات الفقهاء كالطبري والبخاري. (Chaliand, 1990, p461-508)

وبناء على ما سبق تطرح إشكالية الدراسة وفق التساؤل التالي: ماهي قواعد التعامل الإستراتيجي مع الحرب التي وضعها الحسن بن عبد الله العباسي، في كتابه آثار الأول في تدبير الدول؟

الإجابة عن هذه الإشكالية تطلبت تقسيم الدراسة إلى محورين الأول حول ظاهرة الحرب وقواعد التحضير القتالي، والثاني يتعلق بالإستراتيجية اللوجستية والعملياتية.

أولا- ظاهرة الحرب وقواعد التحضير القتالي

تتعين الإشارة في البداية إلى تناول الحسن العباسي لظاهرة الحرب وقواعد التحضير القتالي، وفق رؤية تثير الدهشة والإعجاب والانبهار، وتوحي بأهمية إسهام تراث الدائرة الحضارية العربية الإسلامية في الفكر الاستراتيجي.

1. ظاهرة الحرب

لقد ارتبطت ظاهرة الحرب عند الحسن العباسي بمفهوم الحرب وأصنافها، وأسباب النصر ودواعي الهزيمة، وشروط القيادة العسكرية، وآداب الحرب وأخلاقياتها.

1.1. مفهوم الحرب

يُشَبِهُ الحسن العباسي الحرب بالمرض، والأمن والسلم بالصحة، إذ يكون العمل على حفظ السلم كي لا تقع الحرب بالوقاية الصحية لتجنب المرض، وهذا يتطلب تدخل السياسة، ومن ثمة فإن السلطان الحازم من يجعل الحرب الملجأ والملاذ الأخير، لأنه لا يمكن تعويض النفقات الكبيرة للحرب، وخسائرها البشرية مهما كانت الغنائم، ويستشهد بقول معاوية بن أبي سفيان »إني لا أضع سيفي في موضع يقوم فيه سوطي، ولا أضع سوطي في موضع يقوم فيه كلامي مقامه« (**العباسي**، 1989، **ص** 328)، وفي هذا السياق يحث ابن أبي الربيع على جعل الحرب الحل الأخير لتجنب الخسائر المادية والبشرية، أي ربح الأموال وحقن دماء الجند، وهكذا يكون اللجوء إلى الحرب بعد نفاذ جميع الحلول المتاحة (**ابن أبي الربيع**، 1996، **ص**99).

ويخصص ابن خلدون فصلا من مقدمته للحروب ومذاهب الأمم في ترتيبها، ويعتبر الحرب من أعراض العمران البشري، وهو يرى أنها ظاهرة اجتماعية وسياسية واقتصادية قديمة، عرفتها المجتمعات البشرية منذ أن خلق الله الإنسان على الأرض، وسببها إرادة الانتقام، وهي »أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل «(**ابن خلدون**، 2007، **ص** 275). ويصف عمرو بن معد يكرب الحرب لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بقوله: «الحرب مرة المذاق إذا قلصت عن ساق، من صبر فيها عرف، ومن ضعف عنها تلف. وهي كما قال الشاعر:

الحرب أول ما تكون فتية ـ تسعى بزينتها لكل جهول

حتى إذا إستَعَرَت وشَبَ ضِرامُها ـ عادت عجوزاً غير ذات خليل

شمطاء جزت رأسها وتنكرت ـ مكروهة للشم والتقبيل»

(**الدينوري**، 1925، **ص** 127ـ128)

2.1. أصناف الحرب

يعتمد تصنيف الحسن العباسي للحرب على معيار عدالتها، ويقسمها إلى سبعة أصناف: أولها حرب تأسيس دولة جديدة، والثاني حرب ترسيخ دولة فتية أي توطيد المُلك الجديد والمحافظة عليه، والثالث حرب الدولة العادلة على الدولة الجائرة، ويصفها »بقتال البغاة والخوارج«، والرابع الحرب المقدسة (الجهاد)، والخامس توسع دولة بضم دولة أخرى إلى نطاق سيادتها، والسادس حرب العدوان والفتنة والنهب التي لا تهدف إلى الوصول إلى السلطة، أو إلى مساندة طرف آخر، والسابع حرب القبائل والعشائر لأتفه الأسباب ويصفها »بحروب الغزاة والخوارج والبغاة« (**العباسي**، **ص** 328ـ329).

ويقترب ابن خلدون من هذا التصنيف من خلال تقسيمه الحرب إلى حروب عادلة »جهاد وعدل« وتضم صنفين: أولهما الحرب الدينية والثاني حرب المحافظة على المُلك، وحروب غير عادلة أو كما يسميها »بغي وفتنة« وهي صنفين: الأول حرب العدوان وتشنها القبائل التي وضعت أرزاقها في رماحها، وهي حرب سلب ونهب لا تهدف إلى الوصول للسلطة، والصنف الثاني حرب الغيرة والمنافسة بين المتجاورين والمتناظرين (**ابن خلدون**، **ص** 275).

3.1. أسباب الظفر بالحرب

مما لاشك فيه أن الظفر والغلب في الحرب انشغال استراتيجي للسياسيين والعسكريين، ويرى العباسي أن أسبابه هي: تعداد الجيش وتوفر الأسلحة والوسائل المادية، أو الحيل والخدع والمكايد، أو الصبر والثبات، أو صدق القتال والشجاعة والتمرس في أمور الحرب (**العباسي**، **ص** 342). ويذكر ابن خلدون نوعان من أسباب النصر في الحرب: أولها الأسباب الظاهرة ومنها التفوق العددي، وإعداد الأسلحة، وكثرة الشجعان والأبطال، وترتيب الصفوف وصدق القتال، والنوع الثاني الأسباب الخفية وهي: الحيل والخدع والدعاية المرجفة في الحرب التي يقع بها التأثير النفسي (**ابن خلدون**، **ص** 277ـ278).

ويرى الحسن العباسي أنه من السهل التفوق على الدولة المعادية التي تمر بمرحلة الترف والبذخ والتنعم، وذلك بتجنيد الأمم الوحشية التي تتسم بالجفاء وتحمل الجوع والتعب (**العباسي**، **ص**333)، وهذه الرؤية يؤكدها ابن خلدون من خلال تخصيصه فصلا من مقدمته عنوانه: »في أن الأمم الوحشية اقدر على التغلب ممن سواها« يوضح فيه أن البسالة والشجاعة تقاس بمقدار التوحش، ومن ثمة فإن النصر يكون لصالح الطرف الأقدم في البداوة، والأكثر توحشا إذا تكافآ في العدد والعدة وقوة العصبية (**ابن خلدون**، **ص**151).

وفي هذا السياق يذكر أرنولد توينبي أن سقوط الحضارات يكون بعد حروبها مع القبائل البدوية الكادحة (**مزيان**، 2001، **ص**379)، ويعزو كلوزفيتز تفوق الشعوب البدائية على الشعوب المتمدنة في الحرب إلى تشبع المقاتل البدائي بالروح القتالية (**Clausewitz, 1989, p100**).

ومن الشواهد التاريخية التي تثبت صحة رؤية الحسن العباسي سقوط روما بعدما اجتاحتها الأمم البدائية من كل جانب سنة 476م، كما أن تميز البرابرة الجرمان بحياة البداوة، وشظف العيش وخشونته، وتفوقهم في الحروب على الشعوب المنغمسة في الترف، زال بعد استقرارهم في الإمبراطورية الرومانية وتذوقهم لحلاوة الأطعمة الفاخرة والألبسة الناعمة، والاستحمام، والموسيقى والرقص، والحدائق، والمسرح، إذ بترسخ عادات الترف فيهم جبنوا وأصبحوا لا يطيقون أهوال الحرب ونيرانها (**Montesquieu, 1880, p190**)

مما لاشك فيه أن مقاومة الشعوب العربية للغزو الأجنبي في القرن التاسع عشر، غالبا ما قادتها القبائل البدوية، حيث يقول المفكر الجزائري عبد الله شريط: »لو لم تكن شراسة البدو وبأسهم في الحرب لاندثرت الدول العربية وذهبت منذ قرون طويلة طعمة للغزو الأوروبي« (**شريط**، 1975، **ص**312).

4.1. شروط القيادة العسكرية

يصنف الحسن العباسي الشجاعة كشرط جوهري لتولي القيادة، ويعرفها بأنها »إقدام على أمر مخوف غالبا مع توطين النفس على الظفر، وأما مع استشعار العطب فهو التهور وإلقاء النفس في التهلكة«، ومن ثمة فهي »وسط الإفراط فيها تهور والتفريط جبن«، ويشترط أن يكون القائد العسكري »شجاعا متدربا عارفا بالطعن والضرب والحملة والإقدام ومواقعه ومواضعه والثبات وموانعه«، وينصح بمنح مناصب القيادة العسكرية لذوي الشجاعة والحمية، والشهامة والبسالة، والصبر، والإقدام، والثبات لأن توفر هذه الخصال في القائد يعني تضاعف هيبته لدى الأعداء، ويرجح العباسي خصلة الصبر والثبات على خصلتي الجرأة والتهور، إذ يتورط المتهور في المهالك، لذلك يتعين أن يكون مرؤوسا، ويستشهد بقول المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ـ هو أول وهي المحل الثاني فإذا هما اجتمعا لنفس حرة ـ بلغت من العلياء كل مكان

(**العباسي**، **ص** 294ـ295 و330).

وينصح الطرطوشي أن يكون القائد من ذوي »البسالة والنجدة والشجاعة والجرأة، صارم القلب جريئه، رابط الجأش، صادق البأس«، ممن شهدوا أهوال الحروب، وقارعوا الأقران، ونازلوا الأبطال، منتهزا للفرص، عارفا بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب، وما المناصب التي يجب أن يعززها بالشجعان والأبطال، خبيرا بأصناف العدو ونقاط الضعف منه ونقاط القوة. (**الطرطوشي**، 1994، **ص** 679).

ويشترط المفكر الجزائري ابن العنابي أن يكون المقاتل شجاعا غير متهورا، لأن الشجاعة من الفضائل التي ترشح صاحبها لتولي القيادة، أما التهور وهو الإفراط في الشجاعة فلا يصلح المتصف به لقيادة الجنود »إذ ربما غرر بهم فألقى بهم إلى التهلكة« (**سعد الله**، 1990، **ص** 68). ويرى جوميني أن جاهزية جيش قوي ومنظم لكن بدون قائد مؤهل يعني سقوط بروسيا في 15 يوما تحت ضربات نابوليون. **(Lewal,1999, p101)**

5.1. آداب الحرب

لقد تجلت عالمية وحضارية الإسلام في تبنيه لآداب الحرب وأخلاقياتها، فالحرب في الإسلام ليست مجرد صراع بين طرفين، ولكنها تتحدد بمجموعة من القواعد والمبادئ الأخلاقية القائمة على العدالة واحترام كرامة الإنسان، وتنطلق من مبدأ الحوار والإقناع، وعدم مباغتة العدو بالقتال إلا بعد إنذاره وانتظار موقفه (**العباسي**، **ص**347ـ348).

وإذا صار اللجوء للقتال ضرورة لا مفر منها، فيجب أن يخضع التعامل مع العدو لمجموعة من القيم الأخلاقية، ويظهر سبق الحسن العباسي في استخلاصه لهذه القيم والمبادئ وتدوينها في كتابه، وتكون بالتعامل مع غير المسلمين بقواعد العدل والإنصاف، والالتزام بالعهود حتى تنقضي آجالها، وعدم الغدر أو الخيانة حتى بعد غدر العدو، ومنع التمثيل والتعذيب والتحريق، وتجنب قتل الأطفال والنساء والشيوخ والمرضى والضعفاء والجرحى ومن لا علاقة لهم بالقتال، وصيانة دم المستأمن وعدم الاعتداء على حياة المستجير وإنزاله منزلة المعاهد (**العباسي**، **ص**ـ347 349، 356).

وعند سيطرة الجيش على مدينة فيتعين تعمير ما خرب، وإعادة غرس ما قطع من الأشجار، وإن كانت مقتضيات الحرب تستدعي تخريبها، فيجب تأمين سكانها وإعادة إسكانهم في بلد آخر مع توفير معاشهم، كما يتعين حسن معاملة الأسرى والشفقة عليهم والإحسان إليهم، وإطعامهم وكسوتهم، ودعوتهم إلى الإسلام دون إكراه، وعدم المعاملة بالمثل لو أساء العدو لأسرى المسلمين ويستشهد العباسي بالآية القرآنية: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾(سورة الإنسان: الآية 08) (**العباسي**، **ص** 357).

إن أسبقية المسلمين على أوربا في وضع آداب الحرب تؤكدها شهادات الكثير من الأوربيين، إذ يذكر المفكر العسكري باسيل هنري ليدل هارت أن الفضل الأكبر في نشوء وانتشار آداب وقيم وقوانين الفروسية في الحرب يرجع إلى أصل عربي، وأنه ينبغي الاعتراف بأن المسلمين كانوا أسرع بكثير من مسيحيي الغرب في إرساء الحرب على القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية، وأن الاتصال مع الشرق ساعد على تعزيز قانون الفروسية في الغرب بإضفائه الطابع الإنساني على الحرب **(Liddell Hart, 1972, p 40)**.

ويشير جوستاف لوبون أن تخلص الصليبيين بأوربا من همجيتهم في الحروب كان بعد احتكاكهم بالعرب، واقتباسهم منهم لآداب الحرب، كالرفق بالنساء والشيوخ والأطفال والأسرى، واحترام العهود والالتزام بها، ويشير في دراسته عن الفروسية في الحروب الصليبية إلى التفوق الكاسح للعرب على أوربا، ويذكر اعتراف الباحثين الذين درسوا تاريخ العرب، باقتباس أوربا للفروسية والخصال الفاضلة في الحروب من العرب **(Le bon, 1884, p627,286-289)**.

2. قواعد التحضير القتالي

تطرق الحسن العباسي إلى قواعد التحضير القتالي من خلال جانبين: اللوجستي والمعنوي، وهي تدابير عسكرية احترازية للتحضير للحرب والوقاية من الغارات الفجائية للعدو، إذ يذكر صاحب تفريج الكروب في تدبير الحروب أن »الحزم أن يستعد للأمر قبل وقته ليجد ذلك عند الحاجة إليه« (**الأنصاري**، 1961، **ص** 10).

1.2. التحضير اللوجستي للحرب

يرى الحسن العباسي أن التحضير للحرب يكون بتحصين المدن بالأسوار والخنادق، وتعزيز المرابطة بالثغور، والتحكم في خطوط المواصلات من طرق ومسالك والسيطرة عليها،

والترصد المستمر والمتواصل لأخبار العدو وتحركاته، وذلك بتكثيف استطلاعات الجواسيس والعيون، ثم انتهاج الخطة الملائمة لتدبيرات الخصم، وتكثيف الدوريات في المناطق الحساسة، وتنظيم جند المرابطة وترتيبه، بانتقاء الجنود الشجعان، وتزويدهم بالأسلحة بكل أنواعها، ويستشهد بالحديث الصحيح »رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا« (صحيح البخاري: الحديث رقم 2892)، (**العباسي**، **ص** 321 و325-326). ويذكر ابن هذيل الأندلسي أن الرباط ذو طابع دفاعي، إذ يهدف إلى توفير الأمن والحماية وهو يعني »الثبوت واللزوم من ربط النفس على الأمر، أي تثبيتها عليه وإلزامها إياه«، ومن ثمة يتوجب على من توكل له هذه المهمة ملازمة الثغر والثبات به مع توخي الحذر والفطنة (**ابن هذيل**، 2004، **ص** 63-66).

كما يستدعي التحضير القتالي التفقد السنوي لجاهزية الأسلحة الخفيفة والثقيلة، وتصليحها أو تجديدها إن تطلب الأمر ذلك، وتدعيم مصالح الصحة العسكرية بالأطباء والجراحين، والأدوية، وتوزيع الأجور والألبسة والأغذية على الجند، وادخار الأغذية والأخشاب والحبوب، وكل الأقوات والمؤن الطويلة الصلاحية لمواجهة أي حصار محتمل (**العباسي**، **ص** 327 و369).

ويذهب الهروي إلى أن التحضير للحرب يكون بجمع الأموال والذخائر، وتفقد السلاح الخفيف والثقيل وتجهيزه للقتال، وادخار الأغذية والحبوب وأعلاف الخيل في المخازن، فضلا عن استمالة قلوب الرعية والجند بالإحسان إليهما لأنهما أساس الدفاع (**الهروي**، **د.ت**، **ص** 16-17).

2.2. التحضير المعنوي للحرب

لا يُهْمِلُ الحسن العباسي التحضير المعنوي للقتال إذ أن »أصل الحرب استشعار الظفر وتقريره في النفس«، ويكون ذلك بتنصيب الواعظين والخطباء لتذكير الجند »بما تقوى به نفوسهم، ويشعرهم النصر، فيتشجع الجبان وينشط الكسلان ويقوي عزيمة الشجاع«، كتذكيرهم ببطولات أسلافهم وشجعانهم في الحروب، والوقائع التاريخية الفاصلة، والمعارك السالفة وثواب الشهداء في دار النعيم، وبتوجيه قائد الجيش خطاب للمقاتلين يُلهِب فيه هِممهم ويَدفعهم إلى الصدق في القتال والاستماتة في الحرب (**العباسي**، **ص** 330، 333). ويرى ابن رضوان أن التحضير المعنوي للقتال يكون بإفشاء الغلبة، وإظهار السرور، ورفع معنويات الجند وتقويتهم نفسيا بما يُشعرهم بالنصر والغلبة، حتى يذهب تخاذلهم، ويستصغروا العدو فتزيد جُرأتهم عليه، ويتحقق النصر (**ابن رضوان**، 1984 ، **ص** 389 و405).

ثانيا- الإستراتيجية اللوجستية والعملياتية

تعني الإستراتيجية في تعريفها التقليدي حسب اللغات اللاتينية الإغريقية »فن قيادة الجيش« (**Couteau-Bégarie, p 57**)، ومما لاشك فيه أن كلمة إستراتيجية لم تستعمل في الكتب التراثية الخاصة بالفكر العسكري العربي الإسلامي التي استعملت مصطلحات أخرى مثل: تدبير الحروب، سياسة الحروب، الحيل والخدع والمكايد في الحروب، الحذر والاحتراز في الحروب، فضلا عن تناولها لقواعد ومبادئ الإستراتيجية العسكرية من خلال تطرقها لخطط الحرب والتدابير اللازمة للنصر، ومن الدلائل على ذلك تطرق الحسن العباسي لقواعد الإستراتيجية اللوجستية والعملياتية للحرب برؤية شاملة تدل على وجود فكر إستراتيجي عربي-إسلامي متفتح ومساير للتغيرات الدولية.

ويؤكد روبرت غرين إستخدام كل الأمم على مرور التاريخ لمفهوم الإستراتيجية وإن لم يستعملوا مصطلحها، إذ أنها تتعلق بأساليب التعامل مع الحرب وتصميم خططها، والتنظيم المثالي للجيش، واللجوء إلى الهجوم المعاكس في المعارك، والمناورات، وفنون الخداع، وهذه التدابير موجودة في كتب القدماء وتاريخ حروبهم (**غرين**، 2009، **ص**19-20). وقد انتشر مصطلح الإستراتيجية في أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر، إذ ظهر لأول مرة في الأدبيات العسكرية الفرنسية سنة 1771، في دراسة المفكر العسكري جولي دو مايزيروي، ثم تعمم بعد الثورة الفرنسية (**Henninger et Widemann, 2012, p17**).

1. الإستراتيجية اللوجستية

يعني اللوجستيك في العلوم العسكرية علم تخطيط وقيادة التحركات العسكرية، والإخلاءات، والإمدادات، والتموينات (**Beaufre, 1998, p 33**)، ورغم أن الظهور الأول لتخصص اللوجستيك في الأدبيات العسكرية كان في القرن التاسع عشر من طرف المفكر العسكري السويسري الجنرال جوميني إلا أن الحسن العباسي كان سابقا على جوميني في معالجته لهذا الموضوع من كل جوانبه.

1.1. الإستراتيجية اللوجستية البرية

يرى الحسن العباسي أنه يتعين على الجيش عند دخوله إلى إقليم العدو التزود بالأسلحة والذخائر الكافية بمختلف أنواعها، وبالأقوات والمؤن الاحتياطية، وأعلاف الدواب، وبأدوات فتح المسالك ومد الطرق، وكل وسائل الإسناد من الأدوية وأمور النقل أو الإقامة والتخييم، وهذا لاحتمال التوغل بأرض العدو والإقامة لوقت طويل فيها (**العباسي**، **ص** 333 و 340).

وفي هذا السياق يوصي الجنرال جوميني بتأمين الذخائر والأغذية والأدوية ومخيمات الإقامة ووسائل النقل أثناء المسير إلى لقاء العدو، وتنظيم المستشفيات المتحركة، والحرص على جاهزية وسائل النقل، وتكثيف الإمدادات اللوجستية من الأغذية والمؤن والذخائر (**Jomini, 1837, p 490-491**).

تبين الشواهد التاريخية الدور الاستراتيجي للماء في تحديد الطرف المنتصر في الحرب، من هذا المنطلق ينصح الحسن

العباسي بالاحتياط في جلب كمية المياه اللازمة أثناء المسير إلى لقاء العدو، ويستشهد بمعركة حطين التي كان فيها العطش من بين أسباب خسارة الصليبيين، إذ طوق المسلمين بحيرة طبرية في زمن الصيف، فحل العطش بالعدو وتم أسر أغلبية جنده. كما يوصي بالحذر والحيطة من مياه الآبار والمنابع الموجودة في أرض العدو، لاحتمال تسميمها من طرف الخصم، وعلامات ذلك ظهور غليان أو حركة أو صعود طبقة فوق الماء، أو تغير لون الماء أو رائحته أو طعمه، وبعد التأكد من سلامة الماء يكون تأمين المنابع بمرابطة الجند بها، إذا كان الانسحاب من وُجْهَتِها، فقد يكون العطش من أسباب خسارة الحرب (**العباسي، ص** 340 و332).

ويكون اللجوء لإستراتيجية قطع الدعم اللوجستيكي على العدو في حالة حصار الجيش له، وذلك بمنع مرور الغذاء والمؤن المختلفة، وتلويث الهواء والماء بالمواد السامة حتى تنتشر الأمراض، والهدف من هذه الإستراتيجية إضعاف العدو وإنهاكه ودفعه للاستسلام وطلب الأمان (**العباسي، ص** 364).

2.1.الإستراتيجية اللوجستية البحرية

تخضع الإستراتيجية اللوجستية للحرب البحرية لنفس تدابير الحرب البرية، أي التزود الكافي بالمؤن والأغذية والمياه، إذ قد تطول مدة المكوث بالبحر، ويتعين أن يكون قادة الأساطيل خبراء في الملاحة البحرية، عارفين بمسالك البحر ومراسيه وتغيرات الحركات البحرية من المد والجزر، وتشحن السفن »بالزرد والخوذ والقسي والكلاليب والباسليقات« وهي سلاسل بعصي في رؤوسها قفل حديدي، وبالأسلحة الثقيلة كالمنجنيقات، وبالنفط وقدور الحيات والعقارب، وقدور الصابون اللين، ويعلق حول السفن الجلود المبلولة بالخل لتجنب احتراقها إذا قذفت مادة النفط عليها، وتتميز الحرب في البحر بالشدة والصعوبة لتعسر التحكم في العوامل المناخية كاضطراب البحر والرياح العكسية، ويستشهد العباسي بمقولة الحكيم جاماسب: »إن الشطرنج وضع لتمثيل حرب البر، والنرد وضع لتمثيل حرب البحر« (**العباسي، ص** 370ـ372).

2. الإستراتيجية العملياتية

تناول الحسن العباسي الإستراتيجية العملياتية في الحرب من خلال معالجته لجغرافية موقع المعركة، والاستعلام العملياتي، وإستراتيجية تعبئة الجيش، والحيل والخدع والمكايد، وتدخلات القوات الخاصة، ودور الطبول والأبواق والرايات، ومكافحة الاختلاف الطائفي في الداخل واستغلاله في بلاد العدو.

1.2. إستراتيجية فحص جغرافية موقع المعركة

ليس من قبيل المصادفة أن يكون التحكم والمعرفة الجيدة لجغرافية موقع المعركة من الأسباب الجوهرية للنصر، لذلك ينصح الحسن العباسي بتفحصها قبل بداية الحرب، ويكون ذلك بدراسة خطوط المواصلات كالطرق والمسالك، ومصادر الماء كالوديان والمنابع، وطبيعة التضاريس كالجبال والهضاب والروابي والمسطحات المائية، أما المرور في أرض العدو فيوصي أن يكون بحذر وتحفظ لتجنب الكمائن، خاصة في المضايق التي يتوجب تأمينها بشحنها بالجند لضمان الانسحاب الناجح، ويشبه العباسي فحص القائد لجغرافية موقع المعركة ومعرفته التامة لتفاصيلها بتشخيص المرض ومعرفة أسبابه وأعراضه وإنذاراته قبل علاجه ومداواته (**العباسي، ص** 331ـ332).

وهكذا فإن اختيار موضع الجيش في أرض المعركة من أهم العناصر الإستراتيجية للظفر بالحرب، إذ يدعو الحسن العباسي إلى اختيار موضع قريب من الجبل للتحصن به، أو قريب من النهر للتزود بالماء ومنع العدو منه، شرط أن يكون فيه مسلك أو جسر أو سفن للانسحاب إذا دعت الضرورة لذلك (**العباسي، ص** 333)، وهذا الرأي يعلله صاحب تفريج الكروب بتجنب الكمائن الفجائية للعدو من الخلف، فإن كانت التضاريس الطبيعية غير ملائمة وتعذر القيام بذلك، فهذا يستدعي حفر الخنادق خلف الصفوف، كما ينصح بوضع الجيش في موقع مرتفع على موقع العدو (**الأنصاري، ص** 69، 79)، ويبرر كلاوزفيتز ذلك في أن الطرف المرتفع يبذل جهدا أقل مما يبذله الطرف المنخفض، لأن المرتفعات تشكل عائقا أمام التقدم، وقوة الرمي من الأعلى تكون أكثر دقة من الاتجاه المعاكس، كما تمنح المرتفعات رؤية شاملة (**Clausewitz, p352-353**).

ويخصص كلوزفيتز الفصلين السابع عشر والثامن عشر من الجزء الخامس من كتابه عن الحرب للأرض والمرتفعات الحاكمة، يبرهن فيهما أن دراسة جغرافية موقع المعركة من المواضيع الجوهرية عند العسكري، لأنها العصا السحرية للإستراتيجيين المتعلمين، وهي مبدأ علمي في قيادة الحرب، وهكذا تعتبر الأرض والتضاريس والمناخ عوامل محددة لمصير الحرب. (**Terray, 1999, p134-135**)

2.2. الاستعلام العملياتي في الحرب

مما لاشك فيه أن إرسال الجواسيس لترصد تحركات العدو وأخباره من الأمور التي لا يمكن الاستغناء عنها في الحرب، ويرى الحسن العباسي أنه يتعين أن تتناسب خطة الحرب مع تقارير الجواسيس حول التدابير التي أعدها العدو للحرب، وفي الوقت نفسه يتوجب العمل على تشتيت وتفريق تحالفات العدو لتحقيق الهدف دون اللجوء للحرب (**العباسي، ص** 331 و368)، ويشير صاحب تفريج الكروب أن تشتيت قوات العدو ونشر الخلاف بينها يكون بالتعامل مع كل واقعة بما يناسبها من الحيل والمكايد (**الأنصاري، ص** 28)، وفي هذا السياق يعتبر كلاوزفيتز أن تحطيم تحالفات العدو أو تثبيطها هو طريق مختصر إلى النصر (**Clausewitz, p 92**).

3.2. إستراتيجية التعبئة

يذكر الحسن العباسي أن تسمية العسكر بالكتيبة اشتقت من »إنتظام بعضه على بعض كالكتابة«، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ (سورة الصف: الآية 04)، وتكون تعبئة الجيش بتقسيمه إلى مجموعات وترتيبها في مقدمة وساقة، وميمنة وميسرة، وقلب، ويُنصب قادة أجنحة الجيش من الرجال الشجعان ذووا الثبات والمتمرسين في أمور الحرب ومسائلها، ويتبوأ قائد الجيش موضع القلب المعزز بمجموعة من القوات الخاصة، ويُمَوه مكانه بإخفاء شاراته والتغيير المستمر لمواضعه، لتجنب وصول العدو إليه (**العباسي**، **ص** 340 و339). ومن الشواهد التاريخية التي تثبت نجاعة هذا التدبير عبور طارق ابن زياد إلى عدوة الأندلس، واقتتال جيشه لمدة ثلاثة أيام مع جيش الملك لذريق الذي انكشف مكانه من شاراته وعلامات خيمته، فانقضت عليه مجموعة من القوات الخاصة يقودها طارق، فقتلوه وانهزم جيشه (**ابن الأزرق**، 2007، **ص** 148).

ويكون القتال بترتيب الجند، وتعبئة الجيش، وإرسال الطلائع لترصد تحركات قوات العدو، مع الحرص أن تكون الشمس والريح في وجه العدو (**العباسي**، **ص** 331)، وهذا ما يبرره الأنصاري بكلل الأبصار عن النظر بعد مواجهتها لشعاع الشمس المنعكس على الأسلحة المصقولة، وأما تجنب الريح فيبرره بما تلقيه من تراب ورمل في العيون فتطبق الجفون في الحرب عند اللقاء، وإن تعذر تجنبها فينصح بمجانبتها على الأقل، حتى يعم ضررها جيشي الخصمين (**الأنصاري**، **ص** 70).

إن إستراتيجية التعبئة لا ينكشف فيها عيب قلة العدد في القتال عكس إستراتيجية الصف، من هذه القاعدة يوصي الحسن العباسي بتشتيت صفوف العدو الممتدة واختراقها إذا كان جيشه كبيرا عن طريق مجموعات من الجند (**العباسي**، **ص** 342)، وحسب ابن خلدون تلجأ الجيوش الكبيرة العدد إلى إستراتيجية التعبئة بسبب عدم تعارف الجند فيما بينهم فيخشى من تقاتلهم عن جهل، لذلك يتم تقسيمهم إلى مجموعات متعارفة فيما بينها، ويستشهد بالجيش الضخم الذي كان يقوده عبد الملك بن مروان بإستراتيجية التعبئة، وكانت تتخلف بعده العساكر لبعد المدى في التعبئة فيسوقها الحجاج بن يوسف من خلفه (**ابن خلدون**، **ص** 277).

إن جمع غنائم الحرب يخفض من درجة الحذر والاحتراز، ويمكن أن يؤدي إلى الهلاك وخسارة الحرب، ويستشهد الحسن العباسي برسالة الحجاج إلى قتيبة بن مسلم يحفزه فيها على قتال الترك قال فيها: »إنها طائفة شديدة الطلب، قليلة السلب« (**العباسي**، **ص** 345 و355)، بمعنى أن جند الترك يحرصون على الحرب أكثر من الغنائم، وهذا دليل أن الحجاج كان يدرك التأثير السلبي للانشغال بجمع الغنائم على مجرى المعركة ونتيجتها.

يرى الحسن العباسي أنه »إذا حضرت الحرب ولم يكن منها بد فالمبادرة إليها أولى من الاشتغال بالدفع«، أي أنه إذا لم تتوفر إمكانية تجنب الحرب فإن الهجوم أفضل من الدفاع، »ومن استقرأ أحوال الماضين وحروب المتقدمين علم أن البدرة لمن بدر في أغلب الأحوال«، بمعنى أن الشواهد التاريخية تدل أن النصر في الغالب يكون حليف المبادرين بالهجوم. وإذا ظهر العدو ضعيفا في المعركة، فيجب الحذر والتحفظ من الكمين قبل مهاجمته، ويمكن أن يكون العمل عكسيا بإغراء العدو بموضع ضعيف في الجيش، ثم الانقضاض عليه واحتواءه وتطويقه عن طريق الكمين (**العباسي**، **ص** 333ـ335).

4.2. الحيل والخدع والمكايد

تتفق الأدبيات العسكرية على أن الحيل والخدع والمكائد من الأسباب الجوهرية للنصر في أغلب الحروب التي شنها البشر، إذ هي بمثابة بناء فخ للعدو بهدف تحقيق النصر بأقل التكاليف، وتكون بتخذيل الخصم وذلك بتركه يتصرف ضد مصالحه (**Hinninger et Widemann, 2012, p105-106**)، ويصفها المرادي بأنها »مواد العقول ونتائج الفكر والتجارب، وهي أنجح من القوة«، ويتعين أن تسبقها مقدمات حتى يطمئن لها الخصم، وتحتاج إلى الاستعداد لنتائجها إذ يمكن أن يتفطن لها العدو، والتلطف والتمرن والاحتراس منها كي لا تنعكس على صاحبها (**المرادي**، 2003، **ص** 64).

ويرى ابن خلدون أن الحيل والخدع تعتمد على التأثير النفسي على جيش الخصم (**ابن خلدون**، **ص** 278)، وتكون الحرب النفسية بإشاعة الأخبار الكاذبة في صفوف العدو، وقد يلجأ قائد الجيش إلى استعمال الحيلة لإيهام العدو بكثرة جيشه، مثل تنصيب الأعلام وبعض سواد الجند ودوابهم في قمم الجبال والهضاب، فيرتعب العدو معتقدا وصول المدد للخصم، ويستشهد الحسن العباسي بما فعله طاهر بن الحسين في معركته ضد علي بن عيسى، إذ رتب مجموعة من الفلاحين وأهل القرى على قمم الجبال ووضع معهم الأعلام والكوسات، فاعتقد جند الخصم أن المدد جاءهم، فتخاذلوا و»ضعفت أنفسهم«، وكان النصر حليف طاهر بعد مقتل علي بن عيسى (**العباسي**، **ص** 362 و334).

ويحرص الحسن العباسي على كتمان الخطط العسكرية والتورية عنها بخطط أخرى، ويستشهد بخروج الرسول صلى الله عليه وسلم لغارة وتوريته عنها بغيرها (**العباسي**، **ص** 346). لقد اشتهر العرب بفن الحيل والخدع في الحرب، إذ كان القائد العسكري مالك بن عبد الله الخثعمي عندما يستعد للحرب يخطب في الناس ويعلن لهم خططه العسكرية التي ينوي تطبيقها في الغد، فينقلها الجواسيس كما رواها، ثم يسلك خططا أخرى مخالفة تماما، لذلك كانت تسميه الروم الثعلب. كما كان المهلب يقول لأبنائه: »عليكم في الحرب بالمكيدة فإنها أبلغ من النجدة«، والنجدة تعني الجرأة على الإقدام، ويقول أحد الحكماء: »فليكن همك في إقامة همة جيشك، والإيقاع في نفوسهم أنك غالب وأن عندك دلائل بذلك،

وأرهم برهانات تقوي بها نفوسهم، وإن أمكنك أن تكون أمورك كلها في الحروب خدائع فأفعل« (**ابن هذيل، ص** 294ـ295).

5.2. تدخلات القوات الخاصة

مما لاشك فيه أن المبارزات الفردية بين أبطال الجيشين قبل المعركة في حروب العصور القديمة كان الهدف منها رفع الروح المعنوية للجند، وبالنظر إلى الدور الذي يلعبه التأثير النفسي في حسم المعركة، فإن قوة الجيوش كانت تقاس بعدد الأبطال الذين لا يهزمون، لذلك حرص كل جيش على إرسال العيون وفرق الطلائع للتجسس عن عدد الأبطال الشجعان في جيش العدو، ويشير الحسن العباسي أن اللجوء إلى مقاتل أو مقاتلين من الرجال الشجعان يغني عن حركات الجيوش الكثيرة، إذ يكفي اثنان أو ثلاثة منهم لتفريق مقدمة جيش العدو وتخذيل جنوده، ولو انتدب أولئك الرجال لمهمة استماتوا في تنفيذها، ومن ثمة يتوجب تكليفهم بالمهمات التي يعود نفعها على الدولة، وهذا ما يستدعي الاعتناء بهم (**العباسي ص** 301ـ302).

6.2. دور الطبول والأبواق والرايات في الحرب

مما لاشك فيه أن الغرض من نشر الألوية والرايات وضرب الطبول ونفخ الأبواق في الحرب هو التأثير النفسي على جيش العدو، ويذكر الحسن العباسي أن الهدف من نشر الرايات ذات الأشكال الكبيرة والألوان المختلفة هو تنفير خيل العدو، كما يؤثر الصياح المختلف للطبول المفزعة والأبواق الموحشة على جند الخصم، إذ يضعفهم لعدم تعوُدِهم عليه، ويضرب مثالا عن أمم الفرس الذين استعملوا في حروبهم أصوات هائلة مزعجة تُفزع من لا يَعْهَدُها إذا سمعها، ويستشهد بقول الشاعر:

إن صاح يوما حسبت الصخر منحدرا – والريح عاصفة والموج يلتطم

(**العباسي، ص**342 **و** 344).

ويذكر ابن رضوان أن الهدف من إكثار الآلات والأصوات المفزعة، تخذيل العدو وإفزاعه، وفي نفس الوقت هو دعم نفسي للجيش وشحذ لهممه (**ابن رضوان**، 1984، **ص** 393). ويصف يوسف ابن تاشفين في خطاب له معركة الزلاقة بقوله: »وأظلتهم سحائب الرماح، وزلزلت حوافر خيولهم رعود الطبول بذلك الفياح« (**ابن أبي زرع**، 1972، **ص** 150).

ويؤكد ابن خلدون أن نشر الألوية والرايات وقرع الطبول ونفخ الأبواق ليس الهدف منه إرهاب العدو فحسب، وإنما غرضه الحقيقي هو الدعم النفسي للجيش لأن »النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك، فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ويستميت في ذلك الوجه الذي هو فيه«، ويستشهد بالحيوانات العجم التي تنفعل بسماع الأصوات، وبالأمم العجم التي تلجأ في حروبها إلى الموسيقى لتحريك شجعانها ودفعهم إلى الاستماتة، وبشعراء العرب التي تجيش لها همم الأبطال، والسبب في ذلك حسبه »فرح يحدث في النفس فتنبعث عنه الشجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر« (**ابن خلدون، ص** 263ـ264).

ويرى ابن منكلي أن الغرض من قرع الطبول ونفخ الأبواق تنظيم الجيش وتوجيه تحركاته أثناء المعركة، إذ يعجز القائد عن إيصال أوامره لكل أفراد الجيش، فيكون كل صوت يعني أمر عسكري معين، كالسرعة في الحركة أو التباطؤ، والوقوف والاستعداد أو الإقدام والحملة، كما أن الجيوش الكبيرة لا يمكن لجميع جندها مواجهة العدو في وقت واحد، لذلك يكون تنظيم تناوبهم وتعاقبهم بأصوات القرع والنفخ (**ابن منكلي، د.ت، ص** 417ـ428).

7.2. مكافحة الإختلاف الطائفي في الداخل واستغلاله في بلاد العدو

يرى الحسن العباسي أن تحطيم جيش الخصم وتخذيله، يكون بتفريق الطوائف الدينية أو العرقية في بلاد العدو باستغلال التحاسد والتباغض والتنافس السائد بينها، ويكون ذلك بدعم الطائفة الضعيفة إذ »تلبي كل داع«، وهكذا تحدث الفتنة في البلد وينكسر التلاحم والتماسك الاجتماعي، وتضعف الروح الدفاعية للجيش وتنهار الدولة، ويضرب مثلا عن المدن التي دمرت بالتعصب في المذاهب والآراء كأصبهان والري (**العباسي، ص** 362).

لقد أشار الحسن العباسي إلى كيفيات استغلال الطوائف في أرض العدو لتحقيق النصر السريع، كما حذر من خطرها على الجيش والدولة، من خلال تبنيه لإستراتيجية دفاعية تكون بمكافحة الطوائف والعصبيات الموجودة في الداخل لأنها مصدر كل الفتن التي مآلها الخراب والدمار، إذ تهدف العصبية عند البدو إلى حماية القبيلة والدفاع والذود عنها، بينما عند الحضر تكون سببا لدمار المدينة وخرابها، ويستشهد بقول أحد الحكماء: »كل جمع غير جمع السلطان وكل سيف غير سيفه فهو عليه لا له، وعليه قهره وزواله« (**العباسي، ص** 321ـ322). وهكذا تكون هذه الإستراتيجية بمكافحة الطوائف داخل الوطن واستغلالها في أرض العدو.

وفي هذا السياق يحذر ابن خلدون من خطر كثرة الطوائف والعصبيات على أمن واستقرار الدولة، إذ يخصص فصلا مستقلا من مقدمته عنوانه »في أن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قَلَ أن تستحكم فيها دولة«، يبرهن فيه أن تعدد وكثرة العصبيات مآله الانهيار السريع للدولة بسبب »اختلاف الآراء والأهواء« إذ يدعم كل رأي أو هوى عصبية تمانع الآخرين فينعدم الأمن والاستقرار وتزداد ثورات الخارجين عن الدولة، وقول عمر رضي الله عنه: »إفريقية مفرقة لقلوب أهلها«، معناه كثرة الطوائف والقبائل التي يصعب إذعانها وانقيادها (**ابن خلدون، ص** 176)، وهذا يعني وجود حتمية اجتماعية بين الاختلاف الطائفي وعدم الاستقرار الأمني.

الخاتمة

حاولنا في هذه الدراسة استخلاص قواعد التعامل الاستراتيجي مع الحرب التي وضعها الحسن بن عبد الله العباسي بفتح زاوية جديدة لدراسة إسهاماته من منظور حقل الدراسات الإستراتيجية، وبناء على ما سبق يمكن استنتاج النقاط التالية:

تناول الحسن العباسي الحرب برؤية إستراتيجية متكاملة، شملت التحضير القتالي، والإستراتيجية اللوجستية والعملياتية، وآداب الحرب، وتأثير الاختلاف الطائفي على أمن واستقرار الدولة.

تدل المصطلحات العسكرية الدقيقة التي يستعملها الحسن العباسي، ومنهجيته في التعامل مع إستراتيجية الحرب، على سعة اطلاعه على علوم عصره، وتمرسه وخبرته في تكتيكات المعارك وأدوات القتال، ومعايشته للملوك ورجال السياسة والجيش، ومن ثمة يبدو أنه تقلد مناصب المسؤولية والقيادة في دولة المماليك، وما يرجح ذلك انحدار نسبه من الأسرة المالكة للدولة العباسية.

نبه الحسن العباسي إلى أهمية التحضير القتالي من تحصين ومرابطة، واستطلاع وترصد لتحركات العدو وقدراته التنافسية وتحالفاته الدولية، وتكوين احتياطي من المؤن والأدوية ولوازم الإعاشة والتخييم، ومراقبة دورية لجاهزية الأسلحة والذخائر، وإعداد نفسي للجيش، وأسلوب وشروط القيادة، وهذه رؤية عصرية.

حذر الحسن العباسي من خطر الاختلاف الطائفي على أمن واستقرار الدولة، وناقش كيفية التعامل معه داخل الوطن، وطرق استغلاله في بلاد الخصم، وهذا وعي متقدم بالموضوع، إذ تسعى الدولة العصرية إلى تقوية وحدة الطوائف، ونبذ التعصب، وبث الروح الوطنية والانتماء والولاء للوطن.

ينصح الحسن العباسي بالعمل على حفظ السلم كتدبير وقائي لتجنب الحرب، إذ لا يمكن تعويض الخسائر البشرية والمادية للحرب مهما كانت الغنائم، وهذه رؤية عصرية تتوافق مع موقف النظرية الواقعية الجديدة الدفاعية التي ترى أن مكاسب الحرب نادرا ما تفوق سلبياتها، وهذا ما يشجع الدولة على اعتماد السياسة الدفاعية والالتزام بضبط النفس (Jervis, 1978, p 173, 187).

أدرج الحسن العباسي آداب الحرب في دراسته قبل ظهور معاهدات لاهاي وجنيف المكرسة لمبادئ القانون الدولي الإنساني بسبعة قرون.

عالج الحسن العباسي شروط القيادة العسكرية، وقواعد التحضير القتالي، وإستراتيجية دراسة وفحص جغرافية موقع المعركة من حيث التضاريس، وطرق المواصلات، ومنابع المياه، والنقاط الحساسة كالمعابر والمضايق، وأشار إلى التفوق العسكري للأمم البدوية الوحشية على أهل المدن فكان سابقا على كلاوزفيتز بخمسة قرون.

أدرك الحسن العباسي قواعد الإستراتيجية اللوجستية من خلال تأكيده على ضرورة تزود الجيش عند لقاء العدو بالأسلحة والذخائر، والمؤن، والأعلاف، والأدوية وأدوات فتح المسالك والطرق، ووسائل النقل والإقامة والتخييم، فكان سابقا على جوميني بخمسة قرون.

إن إحياء إسهام الفكر العسكري العربي الإسلامي المغيب في الفكر الاستراتيجي يستدعي التوصية بتحقيق ودراسة مئات المخطوطات العربية الإسلامية المتعلقة بالفكر العسكري المتواجدة في أرشيف مختلف المتاحف والمكتبات العالمية، وإدراج هذا الفكر العسكري في المقررات الدراسية للجامعات والمعاهد العربية المتخصصة في الدراسات الإستراتيجية التي تتجاهله ولا تُدَرِس إلا الفكر الاستراتيجي الغربي.

وفي الأخير تبقى قراءتنا مجرد بداية لدراسة الفكر العسكري العربي، ولابد من معاول أخرى تنقب في هذا الإرث الثقافي والعلمي الكبير لاستخراج مكنوناته وكنوزه أكثر فأكثر، بهدف إدراجه في المقررات الدراسية ضمن مقياس تاريخ الفكر الاستراتيجي، وترجمته إلى اللغات الأخرى حتى يعرف العالم مدى مساهمة العرب في هذا الفكر.

تضارب المصالح

❖ يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

ـ المصادر والمراجع

1. ابن أبي الربيع شهاب الدين، (1996)، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق عارف أحمد عبد الغني، دمشق، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع.

2. ابن الأزرق أبي عبد الله، (2007)، بدائع السلك في طبائع الملك، ج2/1، تحقيق علي سامي النشار، القاهرة، دار السلام، ط1.

3. ابن أبي زرع علي، (1972)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور.

4. ابن النديم محمد، (د.ت)، الفهرست، بيروت، دار المعرفة.

5. ابن خلدون عبد الرحمن، (2007)، مقدمة العلامة ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

6. ابن هذيل الأندلسي، (2004)، تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تحقيق عبد الإلاه احمد النبهان، العين، الإمارات العربية المتحدة، مركز زايد للتراث، ط1.

7. ابن رضوان أبي القاسم المالقي، (1984)، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط1.

8. ابن منكلي محمد، (د.ت)، مخطوط الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، لندن، المكتبة البريطانية، مخطوطات شرقية. Add MS 14055.

9. الأنصاري عمر بن إبراهيم الأوسي، (1961)، تفريج الكروب في تدبير الحروب، تحقيق وترجمة الدكتور جورج سكانلون، القاهرة، منشورات الجامعة الأمريكية.

10. الدينوري بن قتيبة، (1925)، عيون الأخبار، المجلد1، لبنان، دار الكتاب العربي.

11. سعد الله أبو القاسم، (1990)، رائد التجديد الاسلامي محمد ابن العنابي صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود، الجزائر، دار الغرب الاسلامي، ط2.

12. شريط عبد الله، (1975)، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

13. الطرطوشي أبي بكر، (1994)، سراج الملوك، تحقيق محمد فتحي أبوبكر، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1.

14. العباسي الحسن بن عبد الله، (1989)، آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق عبد الرحمن عميرة، بيروت، دار الجيل، ط1.

15. غرين روبرت، 33 إستراتيجية للحرب، ترجمة سامر أبو هواش، أبو ظبي، العبيكان، 2009، ط1.

16. ليدل هارت، (2000)، الإستراتيجية وتاريخها في العالم، ترجمة أكرم ديري والهيثم الأيوبي، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط4.

17. المرادي أبي بكر، (2003)، كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق حسن محمد حسن اسماعيل وفريد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1.

18. مزيان عبد المجيد، (2001)، النظريات الإقتصادية عند ابن خلدون، الجزائر، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار.

19. الهروي علي بن أبي بكر، (د.ت)، التذكرة الهروية في الحيل الحربية، بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية.

20. Beaufre André, (1998), Introduction à la stratégie, Paris, Hachette.

21. Chaliand Gerard, (1990), Anthologie mondiale de la stratégie des origines au nucléaire, Paris, éd Robert Laffont, 1990.

22. Clausewitz Carl Von, (1989), On war, Translated by Michel Howard and Peter Paret, New jersey, Princeton University Press.

23. Coutau-Begarie Hervé, (2003), Traité de stratégie, Paris, Economica, 4eme ed.

24. Jervis Robert, (1978), Cooperation under the security dilemma, World politics, Vol 30, N°2, (Jan-1978), pp167214-.

25. Jomini Le baron de, (1837), Précis de l'art de la guerre, 2ème partie, Paris, Libraire pour l'art militaire.

26. Laurent Henninger et Thierry Widemann, (2012), Comprendre la guerre, Paris, Perrin.

27. Le Bon Gustave, (1884), La civilisation des Arabes, Paris, Firmin-Didot.

28. Lewal Général, (2002), Introduction à la partie positive de la stratégie, Paris, Economica.

29. Liddell Hart Bassil Henry, (1972), Why don't we learn from history?, London, George Allen & Unwin.

30. Montesquieu Charles Luis de Secondat, (1880), Considérations sur les causes de la grandeur des romains et de leur décadence, notes de L. Petit de Julleville, Paris, Librairie CH. Delagrave, 8e éd.

31. Reinaud Joseph Toussaint, (1848), « De l'art militaire chez les arabes » , Journal Asiatique, extrait N°9 de l'année 1848, Paris, Imprimerie nationale, pp 150-.

32. Terray Emmanuel, (1999), Clausewitz, Paris, Fayard.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

المؤلف بسناس توفيق، (2021)، الفكر العسكري عند الحسن العباسي، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 13، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر. ص ص: 308-317